وسِدرة وقصعة مؤنّـَثاتٍ - كما ترى - وأردت أن تكسّرها صرت كأنك أردت تأنيث المؤنّث : فاستحال بك الأمر إلى التذكير فقلت ظُلَم وسِدَر وقصاع وشِفار . فتراجعت للإيغال في التأنيث إلى لفظ التذكير . فعلى هذا النحو لو دعا داع أو حمل حامل على (تأنيث نحو) قائمة ومسلمة لكان طريقه - على ما أرينا - أن نعيده إلى التذكير فنقول : قائم ومسلم . هذا لو سوّغ مسوّغ تأنيث نحو قائمة وكريمة ونحو ذلك .

فإن قيل : فيلزم على هذا أن لو أريد تذكير المذكّر أن يؤنّـَث قيل : هذا تقرير فاسد ووضع غير متقبّـَل . وذلك أن التذكير هو الأوّل والأصل . فليس لك التراجع عن الأصول لأنها أوائل وليس تحت الأصل ما يرجع إليه . وليس كذلك التأنيث لأنه فرع على التذكير . وقد يكون الأصل واحدا وفروعه متضعفة (ومتصعّدة) ألا ترى أن الاشتقاق تجد له أصولا ثم تجد لها فروعا ثم تجد لتلك الفروع فروعا صاعدة عنها ن نحو قولك : نَبْت فهو الأصل لأنه جوهر ثم (يشتقّ منه فرع) هو النبات وهو حَدَث ثم يشتقّ من النبات الفعل فتقول : نَبَت . فهذا أصل وفرع وفرع فرع . فلذلك جاز تصوّر تأنيث المؤنثّ ولم يجز تصوّر تذكير المذكّر . نعم ولو جاز تصوّر